المفردة ، ولله الحمد والمنة .

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى : ﴿ولو تقول علينا﴾ أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى : ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش ، وقيل لأخذنا منه بيمينه ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ قال ابن عباس : وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ، ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب هو القلب ومراقه ومايليه . وقوله تعالى : ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا اردنا به شيئاً من ذلك . والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات .

ثم قال تعالى : ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ يعني القرآن كما قال تعالى : ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾ ثم قال تعالى : ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى : ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاه عن قتادة بمثله ، وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ يقول لندامة ، ويحتمل عود الضمير على القرآن ، أي وإنه القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى : ﴿ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لايؤمنون به﴾ وقال تعالى : ﴿وحيل بينهم وبين مايشتهون﴾ ولهذا قال ههنا ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولاشك ولاريب ، ثم قال تعالى : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم . آخر تفسير سورة الحاقة ، ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ أي وعذابه واقع لامحالة . قال النسائي : حدثنا بشر بن خالد ، حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿سأل سائل﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وقال ابن زيد وغيره ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد ، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى : ﴿واقع للكافرين﴾ أي مرصد معد للكافرين . وقال ابن عباس : واقع جاء ﴿ليس له دافع﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال : ﴿من الله ذي المعارج﴾ قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ذي المعارج﴾ قال : ذو الدرجات ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ذي المعارج يعني العلو والفواضل ، وقال مجاهد : ذي المعارج السماء ، وقال قتادة : ذو الفواضل والنعم .وقوله تعالى : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد ، وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا أناساً ، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث المنهاج عن زاذان عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله» والله أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة من طريق ابن أبي الدنيا ، عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه ، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ .

وقوله تعالى : ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فيه أربعة أقوال : [أحدها] أن المراد بذلك مسافة مابين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة ، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وإنه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية : حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يعني بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إبراهيم بن منصور ، حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، فذلك سبعة آلاف عام ، وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام ، فذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله تعالى : ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ .

[القول الثاني] أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة ، وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوماً ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم﴾ قال : اليوم الدنيا ، وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل .

[القول الثالث] أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بهلول بن المورق ، حدثنا موسى بن عبيدة ، أخبرني محمد بن كعب ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

[القول الرابع] أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال : هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك . قال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال :

قيل لرسول الله ﷺ ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ما أطول هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به ، إلا أن دراجاً وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال : كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالاً ، فقال أبو هريرة ، ردوه إلي فردوه فقال : نبئت أنك ذو مال كثير . فقال العامري : إي والله إن لي لمائة حمراء ومائة ادماء حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل ، فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف الغنم ، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال : ماذاك يا أبا هريرة ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها» قلنا : يارسول الله مانجدتها ورسلها ؟ قال «في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر ، فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة ، كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرير فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عقصاء ولا عضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لايعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به .

[طريق أخرى لهذا الحديث] قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه : «الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر . وعلى رجل وزر» إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ، والغرض من إيراده ههنا قوله : «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال : إنما سألتك لتحدثني ، قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم .

وقوله تعالى : ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ ولهذا قال : ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ أي وقوع العذاب . وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ونراه قريباً﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين : ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد : أي كدردي الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد وقتادة

والسدي ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ وقوله تعالى : ﴿ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، قال العوفي عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى : ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق﴾ وكقوله تعالى : ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ وكقوله تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وكقوله تعالى : ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ وقوله تعالى : ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلا﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً ، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الاهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه .

قال مجاهد والسدي ﴿فصيلته﴾ قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة : فخذه الذي هو منهم ، وقال أشهب عن مالك : فصيلته : أمه ، وقوله تعالى : ﴿إنها لظى﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نزاعة للشوى﴾ قال ابن عباس ومجاهد : جلدة الرأس ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿نزاعة للشوى﴾ الجلود والهام ، وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم ، وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب . وقال أبو صالح ﴿نزاعة للشوى﴾ يعني أطراف اليدين والرجلين ، وقال أيضاً ﴿نزاعة للشوى﴾ لحم الساقين ، وقال الحسن البصري وثابت البناني ﴿نزاعة للشوى﴾ أي مكارم وجهه ، وقال الحسن أيضاً : تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة ﴿نزاعة للشوى﴾ أي نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه . وقال الضحاك : تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً ، وقال ابن زيد : الشوى الآراب العظام ، فقوله نزاعة قال : تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم .

وقوله تعالى : ﴿تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى﴾ أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب ، وذلك أنهم كما قال الله عز وجل : كانوا ممن أدبر وتولى أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وجمع فأوعى﴾ أي جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أي اوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة ، وقد ورد في الحديث « لا توعي فيوعي الله عليك» وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول : سمعت الله يقول ﴿وجمع فأوعى﴾ وقال الحسن البصري : ياابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا . وقال قتادة في قوله : ﴿وجمع فأوعى﴾ قال : كان جموعاً قموماً للخبيث .

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم
مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ ثم فسره بقوله ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ أي إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله تعالى فيها . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن علي بن رباح : سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا

هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «شر ما في رجل : شح هالع وجبن خالع» ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقري به وليس لعبد العزيز عنده سواه ثم قال تعالى : ﴿**إلا المصلين**﴾ أي الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم ، إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون .

﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ قيل : معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها ، قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي ، وقيل : المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى : ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد ، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته ، لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته ، وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» وفي لفظ «ما داوم عليه صاحبه» قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه ، وفي لفظ أثبته ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن .

وقوله تعالى : ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم**﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات . وقوله تعالى : ﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى : ﴿**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**﴾ أي خائفون وجلون ﴿**إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾ أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى . وقوله تعالى : ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ أي يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى : ﴿**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**﴾ أي من الإماء ﴿**فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾ وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله تعالى : ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» وفي رواية «إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» وقوله تعالى : ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿**ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ سواء ولهذا قال هناك ﴿**أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ وقال ههنا ﴿**أولئك في جنات مكرمون**﴾ أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا
خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً ، كما قال تعالى : ﴿**فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة**﴾ الآية . وهذه مثلها فإنه قال تعالى : ﴿**فما للذين كفروا قبلك مهطعين**﴾ أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد **مهطعين** أي مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصري : **مهطعين** أي منطلقين ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ واحدها عزة أي متفرقين ، وهو حال من

openmaktaba.com

مهطعين أي في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس **﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾** ، قال قبلك ينظرون **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾** قال : العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة عن الحسن في قوله **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾** أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون : ما قال هذا الرجل ؟

وقال قتادة : **﴿مهطعين﴾** عامدين **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾** أي فرقاً حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه ﷺ وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال «مالي أراكم عزين ؟» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الأعمش به ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال «مالي أراكم عزين ؟» وهذا إسناده جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله تعالى : **﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا﴾** أي : أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها ، وهم معترفون بها ؛ فقال تعالى : **﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** أي من المني الضعيف ، كما قال تعالى : **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾** وقال **﴿فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر﴾** ثم قال تعالى : **﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾** أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقرير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي ، وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة . وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ، ولهذا قال تعالى : **﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** .

وقال تعالى : **﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير﴾** وقال تعالى في الآية الأخرى : **﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** وقال ههنا **﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم﴾** أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك **﴿وما نحن بمسبوقين﴾** أي بعاجزين كما قال تعالى : **﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾** وقال تعالى : **﴿نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾** واختار ابن جرير **﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾** أي : أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم قال تعالى : **﴿فذرهم﴾** أي يا محمد **﴿يخوضوا ويلعبوا﴾** أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم **﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾** أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله **﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾** أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه ، يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول . وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير مسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى : **﴿خاشعة أبصارهم﴾** أي خاضعة **﴿ترهقهم ذلة﴾** أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة **﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾** . آخر تفسير سورة سأل سائل ؛ ولله الحمد والمنة .